**السنة الثالثة ليسانس – دراسات لغوية –تخصص: لسانيات عامة**

## المحاضرة الثانية: المسار التاريخي لعلم الدلالة:

علم الدلالة علم حديث النشأة، قديم التناول والموضوعات في الدرس العربي القديم، وهو ما نضحت به الآثار والرسوم القديمة التي خلفتها الحضارة، ولعلماء العرب على اختلاف مشاربهم، بصمتهم في ذلك تجلّت لدى النحاة أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي في عينه وسيبويه في كتابه وابن جني في خصائصه، والبلاغيين أمثال الجاحظ في حيوانه وبيانه، وللوقوف على قدمه نقف عند سيرورته التاريخية[1].

1-**لدى الهنود:** يعتبر كتابهم المقدس "الفيدا" منبع الدراسات اللغوية الألسنية ولذا جاء اهتمامهم بالعديد من القضايا الدلالية التي عُدّت من صلب الدرس الدلالي الحديث وأمثلة ذلك:

أ-نشاة اللغة: دار جدل كبير بين الألفاظ ومعانيها في هذه المسألة فمنهم من رأى بعدم إمكانية الفصل بينهما معتبرين الكلمة مكوّنا جوهريا للمعنى وهي الأصل في ذلك مثل التراب الذي أعتبر أصل المواد الترابية.

-البعض رأى بالعلاقة اللزومية بين اللفظ ومعناه فأحدهما يستدعي الآخر فالدخان أمارة على وجود نار، وحمرة الوجه دلالة على الخجل، وصفرته دلالة المرض.

-وبعضهم قال بالعلاقة الطبيعية فالأصوات نتيجة محاكاة للطبيعة على نحو الحفيف، والزقزقة ....

أ -أنواع الدلالات:

-قسم يدل على مدلول عام وشامل مثل "رجل" أو شجرة.

- قسم يدل على كيفية أو صفة طويل قصير ..

- قسم يدل على حدث مثل ذهب ومشى

- قسم يدل على ذات مثل أسماء الأعلام.

[1] ينظر علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، وكذا علم الدلالة أصوله مباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل.

كما وقفوا عند السياق وأهميته في المعنى مثل الترادف والمشترك اللفظي مقرّين بأنها ظواهر مشتركة بين جميع اللغات.

**02–عند الفلاسفة اليونانيين:** تجلّى ذلك بوضوح من خلال محاورات أفلاطون مع أستاذه أرسطو حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه جسدها أفلاطون في مؤلّف "محاورات كراتيليوس" ممثلة في شخصيات هرموجينس وكراتيل وأرسطو أبانت عن :

– ميل أرسطو لاصطلاحية العلاقة بين الاسم ومسماه.

– ذهاب أفلاطون للقول بالعلاقة الطبيعية بين الاسم ومسماه، فالألفاظ معنى ملائما لطبيعتها.

**03–عند العرب:** البحث في دلالة المفردات أوائل المباحث التي وقف عندها العرب ومثل ذلك:

تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم مثل الحديث عن مجاز الحديث النبوي الشريف والتأليف في الأشباه والنظائر.

**أ–لدى اللغويين:**

يعتبر ضبط المصحف الشريف عملا صوتيا دلاليا؛ فضبط المفردات يؤدي إلى الوقوف على التغيير الوظيفي لمرادها، ومن ضمن أوائل تلك الأعمال ما قدمه أبو الأسود الدؤلي لمّا وضع حركات الإعراب في شكل نقط سمي بنقط الإعراب لما كان يملي على القاريء إذا وجدتني فتحت فمي فانقط نقطة فوق الحرف، ثم يأتي بعد ذلك عمل "نصرو بن عمر، ويحي بن يعمر" وتجلى عملهم في ترتيب الصوامت العربية، ليتكمل العمل الخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال تغيير نقط الإعراب إلى علامات إعراب "الفتحة ألف صغيرة مضطجعة فوق الحرف" والكسرة ياء صغيرة تحته.... فهذا العمل له دلالته الوظيفية على مستوى الجمل في تغيير المعنى.

ومن ضمن المؤلّفات التي جَدَت ببصمات دلالية نلفي العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وهو معجم اعتمد في بنائه على مبدأ المخرج الأندى في ترتيب الألفاظ بدءاً بالعين، ثم معيار التقليبات في الكلمة، واقفا عند المهمل والمستعمل منها.

لابن جني عمله الرائد في هذا المجال متجليا في عديد فصول مؤلف الخصائص ضمن أبواب دلالية مثل باب: إمساس الألفاظ أشباه المعاني،وباب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

إضافة لعمل الزمخشري في أساس البلاغة، وابن فارس في مقاييس اللغة.

**ج–وللبلاغيين** بصمتهم البارزة في هذا الجانب متمثلة في نظرية النظم، وما يمكِّن من إيجاد وشائج قربى بين الجرجاني ودي سوسير وماثيزيوس وتشومسكي، إلى جانب هذا نجد أعمال الجاحظ متمثلة في مؤلفي الحيوان والبيان والتبيين خاصة ما تعلق منها بالمنازل الخمس. ليتجلى بعد ذلك انكفاء علماء أصول الفقه حول النص القرآني وهو ما نتكشفه في هذ العنوان:

**د–اهتمامات الأصوليين:** انصب اهتمامهم على النص القرآني فجاءت مؤلفاتهم تنضح بذالك فعقدوا أبوابا للدلالة ما نلفيه لدى الغزالي في المستصفى من علم الأصول، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ومن ضمن تلك الدلالات باختصار:

**دلالة المنطوق:**[2] والمراد من ذلك المعنى المستفاد من حرفية اللفظ، وهو يتعدد ليشمل المنطوق الصريح وهو ما نستجليه من قوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [2] فحرفية الألفاظ دلّت على : – إباحة الزواج بأكثر من واحدة شرط إقامة العدل.

– ألا يتجاوز العدد أربع نسوة مع النهي عن إيقاع الظلم.

– وجوب الاقتصار على واحدة إذا خيف العدل مع التعدد.

والمنطوق غير الصريح الذي يستدعي ترجيح القرائن، ويتعدد ليشمل دلالة الاقتضاء، ودلالة الإشارة وهي في قوله تعالى:﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [3] فالمعنى الصريح في النص ضرورة مشاورة ولي أمر المسلمين فيما يطرأ عليهم من أمور دينهم ودنياهم وهذا المعنى يحيلنا لدلالة أخرى تفهم من المعنى الأول وهو إيجاد جماعة من أهل الرأي يرجع لهم حال الاستشارة وهو المعنى اللازم ، فالتلازم بين المعنيين شرط أساسي في هاته الوحدة حتى لا يحمَّل المفهوم دلالات خارجية، إذّاك ما يدعونا لفتح باب التأويل على مصرعيه. ناهيك عن دلالة المفهوم وما يتضمنه من موافقة ومخالفة وهو المضمر في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [4] فمفهوم المخالفة يعني أن لم يكن فاسقا فلا داعي للتحري.

**هـ–اهتمامات الفلاسفة:** ابن رشد في الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، والغزالي في معيار العلم في فن منطق، ومن ضمن البصمات الفلسفية في ذلك:

---

2 ينظر –إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تح طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، 1973،1/354. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن ، تح سيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط01، 1404 هـ،3/72.

3 سورة آل عمران، الآية 159.

4 سورة الحجرات، الآية 06.

ما رآه " ابن رشد" الذي اعتمد آلية التأويل في المعنى وقضى بخطورته تجاه النصوص الدينية وانمازت نظرته بالدقة والتمعن إزاء التأويل، وأوضح ذلك في مؤلفيه: " ، ولعلنا بإيجاز شديد نتكشف رؤيته التأويلية إزاء النصوص الدينية .

**تعريفه: التأويل لغة:** الرجوع و التدبر والتقدير، والجمع والضم[5].

أما اصطلاحا: تضمن مفهوم التأويل لدى ابن رشد العديد من السمات فهو«هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى المجازية من غير أن يخل ذلك بلسان العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه أو مقارنه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف الكلام المجازي» [6] وقف ابن رشد على العملية التأويلية مطوَّلا وغاص في جنباتها محللا، وقد اشتملت لديه على جملة من الشروط تعلَّق بعضها بذات التأويل والبعض الآخر بالمؤول وإلى العملية التأويلية ككل قبع البعض الآخر.

فعالج الألفاظ التي يشوبها التأويل انطلاقا من النص القرآني في سورة آل عمران ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [7] فتعلق التأويل بالآيات المتشابهات فكانت التأويلات إما قريبة أو بعيدة أو مردودة، وجاء تأويله على الجمهور أو عامة الناس ، ما تعلق ببعض النصوص التي وجب أن لا تتأول لهم لكونها أكثر من مداركهم العقلية والغرض من ذلك تثبيت عقائدهم على الدين لا العكس.

وقد استعمل الدرس الدلالي القديم مصطلحي الاسم والمسمى لدى الفلاسفة، واللفظ والمعنى لدى العرب القدامى، أما الدرس الدلالي الحديث فأتى بمصطلحي الدال والمدلول، ويعتبر ميشال بريال أول من استعمل المصطلح سنة 1883 وقد نشر مؤلفه سنة 1897بعنوان: Essi de sémantique science de signfication الذي أسس فيه لعلم الدلالة، وتبعه بعد ذلك "دار مستتر" في كتابه حياة الألفاظ "La vie des mots الصادر عام 1887، لتنشأ دراسات اهتمت بالمعنى وركزت عليه تجلت في مجموعة من النظريات الدلالية عملت كل منها على محاولة لإيجاد أوجه لدراسة المعنى، وسنقف عندها تفصيلا –إن شاء الله–

---

[5] ينظر كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب ومراجعة داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان ، ط 01، 2004م،، ص 30، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، دار القلم بيروت لبنان، ص 33.

6 فصل المقال ، ابن رشد، مدخل وتقديم محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط 03، 2002م، ص 97.

7 سورة آل عمران، الآية 07.